

الأزمة البربرية 1949م من خلال فكر وكتابات بن يوسف بن خدة The barbarian crisis of 1949 AD though the writings of Yusuf bin Khadda

حسن بن تيشة

جامعة الوادي الجزائر benticha-hacen@univ-eloued.dz

عوادي محمد

كلية الآداب والعلوم الإنسانية سوسة تونس aouadi.mohammed2016@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2023/11/ 07 تاريخ القبول: 2023/12/ 24 تاريخ النشر: 2024/01/ 31

ملخص

عند تشكل حركة انتصار الحريات الديمقراطية بأجنحتها الثلاث حزب الشعب في السرية واللجنة الثورية للوحدة والعمل وريث حزب الشعب المنحل وكذا المنظمة الخاصة والمنظمة المسلحة، بدأت تطفو على سطح الحزب عدة أزمات كادت أن تعصف به، وتعتبر الأزمة البربرية أحد هذه الأزمات والتي تعود جذورها في قول بن خدة إلى سنوات 1946-1947 بحيث كرر الشبان المتعلمون المنحدرين من بلاد القبائل بعد مجازر 8 ماي 1945 وما خلفته من مآسي بالتمرد ودفعت بالبعض إلى الصعود إلى الجبال ليظهر حسين آيت أحمد وعلي العيمش وعمار ولد حمودة وعمر أوصديق وعلي بناي، كرموز لهذه الحركة خاصة أنهم من العناصر القيادية، سواء في الحزب أو في المنظمة الخاصة، كان دعاة النزعة البربرية يلحون على الهوية البربرية وينكرون في الوقت ذاته الإسهام الحضاري العربي الإسلامي، متأثرين بالأفكار التي يروجها المنظرون دعاة الانفصال عن العالم العربي الإسلامي، خاصة أن دعاة هذه النزعة يركزون على عدم وجود أمة جزائرية وهو رأي الشيوعيين ليجد دعاة هذه النزعة البربرية من فرنسا وخاصة فدرالية الحزب هناك أرضا خاصة لتمرير هذه الأجندة التي كادت أن تعصف بولادة حزب تطلع الجزائريون بأنه سيحملهم إلى بر النصر والاستقلال.

الكلمات المفتاحية :

حزب الشعب، بن يوسف بن خدة ، حسين آيت أحمد ، فدرالية الحزب، الأزمة البربرية.

intervention summary:

When the Movement of the Victory of Democratic Liberties with its three wings was formed, the People's Party in secrecy, the Revolutionary Committee of Unity and Action which is the heir of the dissolved People's Party, as well as the Special organization and the armed organization, several crises took place on the surface of the party that almost engulfed it, and the barbaric crisis is one of these crises, whose roots go back to the years 1946-1947 as Benkhedda mentioned, when the educated youths from Kabylia decided to rebel after the massacres of May 8th, 1945 and the tragedies that followed which pushed some to climb into the mountains thus Hocine Ait Ahmed, Ali Laimèche, Amar Ould Hamouda, Omar Oussedik and Ouali Bennai, appeared as symbols of this movement, especially that they are from The command elements, whether in the party or in the special organization. Advocates of barbarism insisted on a barbarian identity and at the same time denied the contribution of Arab-Islamic civilization, influenced by the ideas promoted by theorists who advocate separation from the Arab-Islamic world, especially since advocates of this tendency focus on the absence of an Algerian nation which is the opinion of the communists, so that the advocates of this barbaric tendency from France, especially the federation of the party, find a special ground for passing this agenda, which almost torpedoed the birth of a party that Algerians aspire to carry them to the land of victory and independence. Hence, we pose the following problem: “How does Benyoucef Benkhedda view this crisis, especially since he was radical in his presentation of events? And how was the activity of this category in France and Algeria? And how was the party's response to the advocates of this tendency?”

keywords :

The People's Party, Benyoucef Benkhedda, Hocine Ait Ahmed, the party's federation, the barbaric crisis.

المؤلف المرسل: حسن بن تيشة، benticha-hacen@univ-eloued.dz

1. مقدمة

عند تشكل حركة انتصار الحريات الديمقراطية بأجنحتها الثلاث حزب الشعب في السرية، واللجنة الثورية للوحدة والعمل وحزب الشعب المحل وكذا المنظمة الخاصة أو المنظمة المسلحة بدأت تطفو على سطح الحزب عدة أزمات كادت أن تعصف برمته، وتعتبر الأزمة البربرية أحد هذه الأزمات، والتي تعود جذورها كما يقول بن خدة

إلى سنوات 1946-1947 بحيث قرر الشبان المتعلمون المنحدرين من بلاد القبائل بعد مجازر 8 ماي 1945، و ما خلفته من مآسي بالتمرد ودفعت بالبعض إلى الصعود للجبال، ليظهر حسين أيت أحمد وعلى العيمش وعمار ولد حمودة وعمر أو صديق وعلى بناي كرموز لهذه الحركة، خاصة أنهم كانوا من العناصر القيادية سواء في الحزب أو في المنظمة الخاصة، كأن دعاة النزعة البربرية يلحون على الهوية البربرية وينكرون في الوقت ذاته الإسهام الحضاري العربي الإسلامي متأثرين بالأفكار التي يروجها المنظرين دعاة الانفصال عن العالم العربي الإسلامي، خاصة أن دعاة هذه النزعة يركزون على عدم وجود أمة جزائرية، وهو رأي الشيوعيين ليجد دعاة هذه النزعة من فرنسا خاصة فدرالية الحزب هناك أرضا خصبة لتمرير هذه الأجندة التي كادت أن تعصف بولادة حزب تطلع الجزائريون بأنه سيحملهم إلى بر النصر والاستقلال ومن هنا نطرح الإشكال التالي : كيف ينظر بن يوسف بن خدة لهذه الأزمة خاصة أنه كأن من بين صانعي هذه الأحداث ؟ وكيف كأن نشاط هذه الخلية في فرنسا والجزائر، وكيف كأن رد الحزب لدعاة هذه النزعة ؟

2. بن يوسف بن خدة مسار حافل بالنضال

يعتبر بن يوسف بن خدة من ابرز الشخصيات الجزائرية النضالية والتي كتبت اسمها من ذهب في تاريخ الجزائر المعاصر، بدءا بمسيرة نضالية بدأت منذ انخراطه في صفوف حزب الشعب الجزائري سنة 1942 إلى غاية حصول الجزائر على استقلالها، مروراً بعدة محطات كانت كلها نضال وكفاح إلى غاية 19 مارس 1962 التي كانت محطة كبيرة في تاريخ من أعلن وقف إطلاق النار ونيل الجزائر استقلالها بعد 132 من القهر الاستعماري ، ومن ابرز محطات بن خدة النضالية نجد :

نشاط بن خدة في مدينة البليدة ابرز محطات الرجل من خلال انخراطه في تنظيم حملات ضد سياسة التجنيد الإجباري التي مارستها سلطات الاستعمار ضد الشبان الجزائريين، بحيث كلفه هذا دخوله السجن .
من أوائل المنخرطين في حركة انتصار الحريات الديمقراطية غداة تأسيسها سنة 1917، وعضويته في اللجنة المركزية لهذا الأخير، بل أصبح من أهم القيادات، بحيث شارك في معظم المؤتمرات وهو العضو البارز في كل اللجان المركزية التي تداولت على الحزب منذ إنشائه، حتى أصبح الرجل الثاني في الحزب بعد "مصالي الحاج" بداية من 1951 بحيث قام بن خدة بالتحضير للمؤتمر الثاني للحزب سنة 1953 بعد أزمة كبيرة شهدتها الحزب وهي أزمة المصاليين والمركزيين¹.

بعد خروج بن خدة من السجن؛ أي بعد اندلاع الثورة التحريرية اضطلع بمهام كبرى ، بحيث بدأت نضالاته مع "عبان رمضان" و"عمر أو عمران" و"عمارة رشيد" وغيرهم، ومن خلال مؤتمر الصومام في 20 أوت 1956، عُيِّن بن خدة عضوا في المجلس الوطني للثورة، كما كانت له العضوية في أعلى هرم في قيادة الثورة وهي لجنة التنسيق والتنفيذ ومكلف بالدعاية والاتصال، بحيث شكل رفقة "عبان رمضان والعربي بن مهيدي وكريم بلقاسم وسعد دحلب"، هذه اللجنة التي كانت بمثابة القيادة الفعلية للثورة، وبعد إبعاده من هذه اللجنة بعد مؤتمر القاهرة ليتولى وزارة الشؤون الاجتماعية بعد تأسيس الحكومة المؤقتة في 19 سبتمبر 1958 ، ليتأسس هذه الحكومة في شهر أوت 1961 خلفا "لفرحات عباس" لتكون اطلالته الأخيرة أثناء الثورة في قراءته لبيان وقف إطلاق النار يوم 19 مارس 1962².

كان لابن خدة دور في المفاوضات الماراطونية مع الحكومة الفرنسية التي انتهت بعد مفاوضات ايفيان وكذا دوره البارز في أزمة صائفه 1962 ، والتي أُلقت بظلالها على فكر بن خدة حتى أنه أُلّف كتابا حول هذه الأزمة .

1-2. مؤلفاته: أُلّف بن يوسف بن خدة العديد من الكتب، خاصة في تاريخ الثورة باعتباره أحد صانعي هذا التاريخ، فكانت جل هذه الكتب والمقالات عبارة عن شاهد عيان للأحداث الثورية، فمن كتاب مدينة الجزائر عاصمة المقاومة ، إلى عبان وابن مهيدي ومساهمتهما في الثورة، إلى الجزائر عند الاستقلال، مروراً بنهاية حرب الجزائر ، وصولاً إلى كتابة الشهير جذور أول نوفمبر، والذي يُعتبر عصارة فكر بن خدة في التأليف، وهو عبارة عن مذكرات شخصية لابن خدة والذي تطرق فيه لكثير من الأحداث والرجالات وغيرها من الأسباب البعيدة لقيام أول نوفمبر وصولاً إلى الأسباب المباشرة لقيام الثورة النوفمبرية. ومن مجمل ما جاء في هذا الكتاب التطرق إلى الأزمة البربرية أسبابها الداخلية والخارجية، وكيف تعامل الحزب مع هذه الأزمة وكيف كان انعكاس هذه الأزمة على سيرورة الحزب؟

3. أسباب الأزمة البربرية :

من جملة الأهداف التي كانت ترمي إليها السلطات الاستعمارية هي تفكيك أساسات وأركان المجتمعات المغاربية، بحيث وظّفت فرنسا آلياتها الثقافية بعد أن كانت الآلة العسكرية والقانونية سبّاقة لذلك، كما وظّفت النظريات القائلة بأن الشمال الإفريقي بلاد بربرية الأصل، وأن العرب قوم غزاة ومستعمرون جاءوا إلى الشمال الإفريقي كغيرهم من الأجانب الذين توافدوا إلى المنطقة مثل: الرومان، والوندال، والبيزنطيين، والأتراك، ثم الفرنسيين فيما بعد³.

كان تركيز السلطات الاستعمارية مُنصباً حول منطقة القبائل في مجالات التعليم، والهدف من ذلك تكوين نُخب محلية ذات ثقافة فرنسية تتبنى الطرح والرؤية الاستعمارية فيما يتعلق بأصل السكان بحيث أوهمت هذه السلطات لسكان هذه المناطق أنهم امتداد للرومان والجرمان، ومن ثم فهم اقرب بنسبة كبيرة لفرنسا، وكذلك فتح السلطات الاستعمارية أبواب الهجرة لسكان القبائل إلى الأراضي الفرنسية لعدد كبير منهم⁴.

كذلك دور الحزب الشيوعي الجزائري الذي نجد في أيديولوجية الحزب أنه هناك ثنائية عرقية في شمال إفريقيا (عرب، بربر) بحيث يرى الحزب الشيوعي أن الأمة الجزائرية ما تزال في طور التكوين نظراً للتعايش العرقي بين هذه الجماعات العرقية فوق هذه الأرض، ويعجج بها الشمال الإفريقي من عرب وبربر ويهود واليطاليين والمالطيين والأسبان والفرنسيين⁵، كان الحزب الشيوعي قد برز بجلاء غداة نهاية الحرب العالمية الثانية، بحيث احتضن الحزب الكثير من طلاب الثانويات والجامعات لتمرير هذه الأجندة، ونشر أفكاره وأيدياته خاصة مع الدعم اللامتناهي من الحزب الشيوعي الفرنسي مستغلين دعم الاتحاد السوفياتي ونشر الأفكار الشيوعية في العالم⁶.

كانت هذه هي الأسباب الخارجية في نظر بن خدة حول ظهور الأزمة البربرية، أما الأسباب الداخلية، فيرى بن خدة أن أصل الأزمة يكمن في ما يلي :

الرجوع إلى مسيرة الحزب ونهجه أثناء وبعد الحرب العالمية الثانية، وبالأخص تراجع الحزب عن إشعال فتيل الثورة أسوة بحركات التحرر في العالم وتحلف الحزب عن ركب هذه الدول⁷ وتحلى ذلك بعد مجازر ماي 1945 مما أدى ذلك إلى حالة إحباط لدى الشباب المتعطش للثورة والذين كانوا ينشطون تحت لواء حزب الشعب الذي كان ينشط في السرية ولاحقاً ينظمون إلى حركة انتصار الحريات الديمقراطية .

كذلك بعد نهاية الحرب العالمية الثانية، أصبحت النزعة البربرية كحركة أخذت طابعاً سياسياً ويعود هذا إلى سنتي (1946-1947) أي بعد أحداث ماي الأليمة و ما تبعها من قمع في كافة أنحاء الوطن ومن بين هذه المناطق منطقة القبائل بحيث انظم عدد من الشباب إلى حزب الشعب الجزائري غير أنه هناك من كانت أيديولوجيته مغايرة لأيديولوجية (حزب الشعب) بحيث كانت هذه الفئة تطالب بالبربرية في الجزائر مع رفض الانتماء للعروبة والإسلام⁸. وهذه النخبة هي الناطقة باللغة الفرنسية والمتكونة داخل دواليب المدارس الفرنسية منهجا وأيديولوجية والتي كانت تؤمن بالثنائية العرقية في شمال إفريقيا وكانت تلح على إدراج اللغة البربرية متأثرة بالأنطروحات الاستعمارية وبالأفكار التي روجها منظروها الشيوعيين الذين ينكرون وجود أمة اسمها (الأمة الجزائرية) وقد كان هؤلاء يركزون على فكرة Maurice Thorez القائلة أن: "الأمة الجزائرية مازالت في طور التكوين".

بدأ الانقسام في حزب الشعب الجزائري، وبدأت تظهر عناصر يسارية من منطقة القبائل الكبرى، والتي كانت متواجدة بكثرة في فرنسا وكانت تسيطر على الحزب واللجنة المركزية⁸، ويتجلى هذا الانقسام في ندوة الإطارات ببوزريعة في أكتوبر 1946 التي عقدها حزب الشعب المنحل حيث برز اتجاهان: إحداهما ينادي بتعجيل العمل الثوري، والآخر كان يريد تدويل القضية الجزائرية والمشاركة في الانتخابات بزعامة مصالي الحاج ، وبالرجوع إلى أصحاب النزعة البربرية في الحزب لدى هؤلاء أن اختياريهم لتسمية الجزائر جزائرية، لأنهم يرون أن قول الجزائر عربية مسلمة هي أكذوبة وليست حقيقة للبلاد في نظرهم مستشعدين بتركيا وإيران وغيرهم من البلدان الإسلامية: بحيث لم تصبح هذه البلدان عربية ، وأما قول الجزائر مسلمة فهذا غير ممكن لأن الدين الإسلامي له بعد عالمي ولا يمكن خلطه بمفهوم الأمة، وبالتالي لم يجد هؤلاء حلا لتحديد الهوية الجزائرية فاكثفوا بالقول: "الجزائر الجزائرية"⁹.

كان لوصول بعض الكوادر من أصحاب النزعة البربرية إلى اللجنة المركزية لحزب الشعب وحركة انتصار الحريات الديمقراطية ومن بين هؤلاء نجد (حسين ايت احمد- عمر أو صديق عمار ولد حمودة- واعلى بني) هؤلاء الأربعة كانوا يقومون بمسؤوليات كبيرة في الحزب فحسين ايت أحمد قبل أن يتولى المنظمة الخاصة كان عضوا في المكتب السياسي للحزب ، وولد حمودة كان يتولى قيادة المنظمة الخاصة بمنطقة القبائل الكبرى، وعمر أو صديق تولى قيادة منظمة الجزائر وكان نائبا لأحمد بودة عضو المكتب السياسي المكلف بالتنظيم السياسي على المستوى الوطني¹⁰.

4. تطور النزعة البربرية وامتدادها

4-1. النزعة البربرية في فرنسا

بحسب راجف بلقاسم، أحد الرموز المساهمة في حل هذه الأزمة فإن الأزمة البربرية ظهرت سنة 1948 بعد أن انتشرت الأفكار البربرية في وسط المجلس الفيدرالي بفرنسا، فرع من اجل انتصار الحريات الديمقراطية¹¹، أما المؤرخ الفرنسي كيجرون يرى: أن بداية الأزمة تعود 1947 عندما حاول عمار العيمش وسي الجيلاني المناضلان السابقان مع مصالي الحاج إنشاء حزب وطن ببلاد القبائل منشق عن حزب الشعب، وبعد فشل هذه المحاولة لم يمنعه من التواصل لإيجاد أصحاب النزعة البربرية في فرنسا واكتشفت هذه الحركة سنة 1948 هناك، وجل القراءات التي تناولت ظهور الأزمة البربرية تتفق مع قراءة بن يوسف بن خدة لهذه الأحداث بحيث تتماشى زمنا ومكانيا في انفجارها والذي حدث بفرنسا في مطلع سنة 1949 والتي كانت على يد محمد على رشيد¹².

هذا الأخير دفع باللجنة الإدارية الفيدرالية للحزب بفرنسا إلى التصويت على لائحة تدين الأسطورة القائلة بوجود جزائر "عربية إسلامية"¹³ استحوذت أفكار محمد علي رشيد على أنصاره بفرنسا بحيث ورد على ألسنتهم كلام حاقد على كل ما هو عربي وبصفة خاصة على اللغة العربية والقرآن الكريم والدين الإسلامي¹⁴، وسيطر أنصار هذه النزعة في بداية الأمر على 80% من هياكل الاتحادية الحزب بفرنسا¹⁵ ويقول بن خدة عن انتشار هذه النزعة كذلك أنه في ربيع 1948 أن واعلي بناي التقى بأحمد بودة رئيس المنظمة لحزب الشعب الجزائري وحركة انتصار الحريات الديمقراطية بفرنسا وقد تداولوا في حديثهما الكلام عن طلب ملاحق من طرف الشرطة الفرنسية حسب زعمه، وله رغبة في الالتحاق بفرنسا¹⁶، ليتابع دراسته وأنه بحاجة إلى أن يوصى به لدى قيادة فيدرالية حزب الشعب بفرنسا وهذا الطالب هو "محمد علي يحي" وهو من أقدم طلاب ثانوية بن عكنون فلبى أحمد بودة طلب واعلي بناي عن حسن نية رغم أن بناي مناضل في حزب الشعب ولكنه يُخفي نزعته البربرية ، ومنه استطاع محمد علي يحي المدعو "رشيد" الالتحاق بفرنسا وبهذا أصبح علي يحي محمد عضوا قياديا في لجنة الحزب بفرنسا واستطاع أن يشارك في ندوة فدرالية للحزب التي انعقدت اثر وصوله لفرنسا في نوفمبر 1948 بحيث استطاع أن يكون رئيسا لجريدة النجم¹⁷، حيث استغل هذه الجريدة لبث أفكاره علانية منها المطالبة بالمساواة بين اللغات والثقافات¹⁸، وعموما كانت هذه النزعة أو الأزمة بقيت محصورة في أوساط المغتربين من أبناء المنطقة التي ينحدر منها من أجبوا هذه النزعة ولم تكن موجودة في صفوف المغتربين الآخرين خاصة القادمين من المناطق التي بقيت محافظة على الطابع البربري الأصيل مثل الأوراس والهقار ووادي ميزاب¹⁹.

4-2. النزعة البربرية داخليا (الجزائر)

على اثر ظهور أزمة البارباليزم في فرنسا بدأت تطفو على السطح الداخلي بالجزائر بحيث يورد لنا بن خدة أنه في شهر مارس سنة 1949 بعد أن بدأت بالظهور بفرنسا في جانفي 1949 وهي المعلومات التي قدمها محمد حربي ومحفوظ قداش الذي بدوره يركز على أن أصل الأزمة البربرية بدأت بين صفوف العمال المغتربين بفرنسا وسعى أصحاب النزعة في الجزائر إلى كسب أتباع لهم بين صفوف طلبة العاصمة ومناضلي منطقة القبائل ووهران²⁰. ويذهب بن خدة إلى أن أصحاب النزعة لم يجدوا لهم مؤيدين داخل منظمة القبائل سوى قسمة واحدة من مجموع اثني عشر قسمة في المنطقة تابعة لحزب MTLD وهي قسمة عين الحمام معقل عمار ولد حمودة التي بقيت تحت سيطرة هذه الجماعة لسنة واحدة فقط²¹. أما عن نشاطهم داخل الجزائر فقد نشط دعاة هذه النزعة من خلال تجنيد الأنصار في صفوف الأوساط الطلابية كما ذكرنا سابقا وبالأخص مناطق بعينها مثل

العاصمة ومنطقة القبائل بحيث أصبحوا لا يتوانون عن الفتح في قيادته للحزب سعيا منهم إلى زعزعة سلطته والتشكيك في نهج الحزب في شقه السياسي ذي التوجه العروبي الإسلامي وهو النهج الذي رسمه الحزب . وغالبا ما اصطدم هؤلاء برفض هذه الأفكار من طرف الأغلبية الساحقة من مناضلي الحزب . باعتبار تلك الأفكار سوف تؤدي بالحزب والشعب لا محالة إلى انقسام الصف والمواجهة العرقية²².

4-3. انفجار الأزمة البربرية

تعود خلفيات اكتشاف الأزمة إلى العديد من الأحداث التي حدثت على مستوى حركة انتصار الحريات الديمقراطية بحيث أن فيدرالية حزب الشعب بفرنسا كأن يترأسها عبد الله فيلاي²³، وذلك في الفترة الممتدة ما بين 1947-1949 وهذا الأخير لم يستطع أن يحدث أي تغيير للحزب أو تقدم رغم إمكانياته وإرادته الحسنة بحيث أنه كان يُبالغ في استعمال الشتائم ضد كل من يعارضه ، ولا يقبل أية مناقشة وكان ينعت الطلبة بالأميين ، واثّر وصول رشيد علي يحيى إلى فرنسا لاحظ طريقة تسيير الفيدرالية التي كأن يسيطر عليها عبد الله فيلاي ، مما أدى به إلى انتقادها، وما زاد في الطين بلة وأثار غضب الطلبة بحزب الشعب أنه في تلك الفترة كانت زيارة لمصالي مدينة " بدي كنت " بضواحي العاصمة باريس فذهب إليه مجموعة من المناضلين مع بلقاسم راجف أحد الوجوه البارزة في الحركة الوطنية ليقدموا له عريضة عن تجاوزات فيلاي وسوء معاملته للمناضلين وخاصة الطلبة المنطوين تحت لواء الحزب إلا أن مصالي دافع عن هذا الأخير فلم يجد هؤلاء سوى الهروب والتنقل من الحزب، لكن بلقاسم راجف بحسه الوطني عقد اجتماعا مع الطلبة بشارع سان ميشال بباريس بحيث عقدوا مؤتمر فيدراليا سنة 1948 حضره 150 مناضلا وقد ضم هذا المؤتمر رشيد علي يحيى إلى اللجنة المركزية للفيدرالية التي أنتخبها المجلس وهي تتكون من 25 عضوا²⁴ ومن هذا المؤتمر بدا نجم رشيد علي يحيى في صعوده ومنذ تلك اللحظة رفع علي يحيى رشيد راية الانشقاق عن الحزب (حزب الشعب وأول إجراء قام به جعل اللجنة الإدارية الفيدرالية لحزب بفرنسا تصوت على اللائحة القائلة (الجزائر جزائرية) وتدين الأسطورة القائلة (الجزائر عربية إسلامية) وقد صوت 28 فردا من مجموع 32، هذا ما أدى إلى شن حملة من طرف فدرالية حزب الشعب بحركة انتصار الحريات الديمقراطية ضد التوجه العربي الإسلامي الذي كأن ينتهجه حزب الشعب في سير برنامجه مما أدى إلى انفجار الأزمة، ومن هذا اليوم أصبح يطلق على القبائل تهمة " البارباليزم " مع كل ما تطلق العبارة من معاني وإيحاءات لا عقلانية وسلبية²⁵، ويذهب بن خدة أن ظهور هذه الأزمة للعلن مرده هو هزيمة العرب في فلسطين 1948 وإعلان قيام دولة إسرائيل، الأمر الذي أحدث في نفوس مجموعة من الشبيبة القبائلية نوعا من النفور من العرب وميلا إلى فك الارتباط بالوطن العربي²⁶، ويضيف بن خدة أن الأخطر من ذلك أن هؤلاء حملوا الإسلام والعرب واللغة العربية ما

ألت إليه الجزائر هذا المعطى أشار إليه بن خدة ولا ينفيه أصحاب النزعة البربرية، ومن هؤلاء نجد مبروك بن الحسين حيث أكد أنه بالإضافة إلا معاناة الحزب في الدعوة إلى الارتباط بالجامعة العربية .ضريبة العرب بفلسطين سنة 1948 الأثر السلبي عليه هو شخصيا وعلى رفاهه الذين يناشدون باستقلالية الحركة الثورية الجزائرية²⁷، وبالعودة إلى الأفكار والمطالب التي يحملها أصحاب هذه النزعة فإن بن خدة يرى أن الشعار الذي يحمله هؤلاء وهو "الجزائر جزائرية" كبديل عن "الجزائر عربية" أو حتى "الجزائر فرنسية" ويعتقد أن الشعار الذي رفعه هؤلاء ما هو إلا طمس للحقائق وتحمل أبعاد سياسية لا غير مستشهدا ب: لماذا لا تحمل الالمان شعار "ألمانيا ألمانية" أو حتى الفرنسيين لماذا لا يحملون شعار "فرنسا فرنسية" و إجمالا يرى بن خدة أن عرض أصحاب هذه النزعة هو محاولة متعمدة لطمس مكونات الأمة الجزائرية المستمدة من الإسلام كدين للدولة والعربية لغة لهذه الأمة وانتمائها الإسلامي العربي²⁸. والأكثر من ذلك يرى بن خدة أن أصحاب هذه النزعة كانوا في جل خطاباتهم وآرائهم وكتابتهم يلحون على الهوية البربرية ، ويذكرون الإسهام الحضاري العربي الإسلامي وعن هذه المطالب يرد بن خدة قائلا: "أصبح مسؤولا بفيدرالية فرنسا لحزب الشعب أو MTLD"²⁹.

أن هذا الإنكار لأهداف منه سوى ضرب الوحدة الوطنية واللغة العربية وهي إحدى مقومات الأمة الجزائرية وهذا ما يلاحظه بن خدة حتى بعد استقلال الجزائر سنة 1962 بحيث طالبوا بالاعتراف باللغة العربية الدارجة والبربرية كلغتين وطنيتين³⁰، وتلخص لنا جريدة النجم الجزائري التابعة للحركة من أجل انتصار الحريات الديمقراطية "MTLD"، والتي استحوذ عليها أصحاب هذه النزعة وعلى رأسها "علي يحي رشيد" نهاية سنة 1948 والتي جاء في أحد أعمدها للعدد رقم 20 فيفري 1949 ما يلي:

" أن الجزائر ليست عربية وعروبتها ادعاء باطل يتنكر لوجود العناصر البربرية والتركية وغيرها....وليس صحيحا ما ينسب للإسلام من دور أساسي في تحديد الهوية السياسية للجزائر...ولأجل ذلك يجب أن تكون اللائكية هي السائدة في برنامج حزب الشعب الجزائري³¹ ومن خلال من ورد في نص الجريدة يظهر جليا أن أصحاب هذه النزعة كان لهم رأي في سيرة الحزب من خلال عملية الإقصاء لهذا العنصر البربري"، حسب اعتقادهم بحيث اعتمدوا على نشر أفكارهم بإقصاء والتهميم على جزء كبير من تاريخ التركيبة البشرية للشعب الجزائري المشترك لهدف واضح وهو دفع الحزب لتبني خيار اللائكية كإيديولوجية أساسية للحزب ، ويذهب أحمد حربي أحد القيادات البارزة في الثورة الجزائرية على أن الاتجاه البربري في حزب الشعب ، تحرك بناء على أساس

اللغة والثقافة وكان تحركه عبارة عن رد فعل على ما اعتبره أنصار هذه النزعة من مزاعم العروبة والإسلام التي تتجاهل ماضي الجزائر، كما لم يفوت حربي الإشارة بأن دعاة البربرية يحملون تطورات مختلفة ومتعددة للمسألة³². ومن خلال هذه المعطيات يتضح أن انفجار الأزمة في 1949 جاءت بعد ظهور أفكار ومطالب هذه النزعة منذ 1946 لتبلغ ذروتها سنة 1949، وبالأخص مع اعتلاء عناصر من هذه النزعة مقاليد القيادة سوءا في الحزب أو فيدراليته في فرنسا أو حتى على رأس المنظمة الخاصة بعد ترأس آيت أحمد لها. والسؤال المطروح بعد ظهور هذه الأزمة، وكيف تعامل معها هذا الأخير و ما هي انعكاساتها على مسيرة الحزب؟

5. نتائج وانعكاسات الأزمة البربرية

يرى بن خدة أنه أول من ندد وأشار إلى أصحاب هذه النزعة هو السيد أحمد بودة في اجتماع زدين شهر ديسمبر 1948، بحيث أشار بودة إلى أن أصحاب هذه النزعة انتقلوا من مرحلة الأفكار والمطالب إلى مرحلة التطبيق الفعلي لهذه الأفكار على الميدان العملي من خلال هيكله هؤلاء داخل دواليب الحزب³³. عرفت فرنسا أو بالأحرى فيدرالية الحزب بفرنسا الانفجار الفعلي لهذه الأزمة لم يتوان الحزب في السكوت عنها، بل أرسل كل من شوقي مصطفى والصادق سعدي وهما من منطقة القبائل إلى فرنسا للنظر فيما يجري هناك، وكان لانضمام محمد خيضر وبلقاسم راجف هذه الشخصيات التي لها باع كبير سواء على مستوى قيادة الحزب أو حتى القاعدة نظرا للكاريزما التي يتمتع بها هؤلاء المناضلون، بحيث دخلت هذه الشخصيات إلى الميدان مباشرة بداء باللجوء أولا للمناطق التي لم تنجر وراء دعاة هذه النزعة والتي يوجد بها مهاجرون من بلاد القبائل خاصة من القيادات داخل الحزب بحيث اتصلوا ببشير بومعزة وأحمد حدأنو إضافة إلى قيادات من العاصمة باريس التي بها عناصر موالية لبلقاسم راجف والتي كانت بمثابة نقطة الانطلاقة للقضاء على أنصار هذه الأزمة بحيث يعطينا بن خدة بعضا من أسماء الطلبة الناشطين تحت لواء الحزب والذين ساهموا بقسط كبير في القضاء على دعاة هذه النزعة والأزمة. من بينهم مصطفى الأشرف وعبد المالك بن حبيلس وعلي مرداسي ومحي الدين حفيزو صغير مصطفىاوي ومحمد بن قطاف³⁴.

شكلت الأزمة البربرية عملية فرز داخل دواليب الحزب (MTLD) بحيث أصبح داخل الحزب من هم ذو توجه عروبي إسلامي ومن هم ضد هذا التوجه بحيث يعتقد أن الكثير من مناضلي وقيادات الحزب الذين ينحدرون من مناطق القبائل ساندوا التوجه العربي الإسلامي ويذكر منهم: عبان رمضان، كريم بلقاسم، عيسات ايدير، عمر أو عمران، راجف بلقاسم وغيرهم³⁵.

يرى بن خدة أن سلطات الاستعمار الفرنسي وخاصة من يساندون الأفكار الشيوعية ومنهم عملوا على استغلال هذه الأزمة من أجل تفتيت الحزب إلى مجموعة من الأحزاب المجهرية القائمة على أساس جهوي، عرقي لتحقيق الهدف الاستعماري وكان لدور الشيوعيين في الجزائر دور هام في إذكاء ومساندة دعاة الأزمة من جهة وتكسير الحزب الذي عرف كيف يستقطب الكثير من الأنصار حوله³⁶.

فصل المناضل محمد علي يحي رشيد ، باعتباره صاحب دعوة انفصالية وكذا كل الذين انساقوا وراءه وكذلك توقيف صحيفة النجم الجزائري بعد انحياز هذه الجريدة وراء أصحاب هذه النزعة³⁷. كان للعقوبات التي فرضها الحزب على جل المتسببين في الأزمة إلى تمكن هذا الأخير من تفادي الانقسام في صفوفه والمحافظة على مساعي الحزب والسير قدما في مسيرة دعم فكرة الكفاح المسلح، بحيث ربط الحزب اتصالات مع الأحزاب المغاربية والقادة العرب لطلب المساعدة وتحضيرا للكفاح المسلح³⁸.

من النتائج التي ذكرها بن خدة أن الحزب إعادة تحديد خطة للسياسي على مبدئين وهما :

- دحض النظرية العرقية التي بينت عليها النزعة البربرية وتفنيد مزاعمها دون المساس بالثقافة البربرية
 - استشارة المشاعر الوطنية المتنافية مع النظريات العرقية ، وتعزيز وشائج الترابط والتماسك الاجتماعي³⁹.
- مما سبق ذكره من نتائج وانعكاسات نجد أن بن خدة قد ساهم في إمطة اللثام عن أسباب ونتائج وكذا الشخصيات النافذة والفاعلة سواء الذين كانوا سببا في هذه الأزمة أو الذين تصدوا لها وقاموا بإخمادها في فرنسا وهنا بالجزائر .

6. الخاتمة

إن المتتبع للحركة الوطنية بعد نهاية الحرب العالمية الثانية وبعد مجازر 8 ماي 1945 وما خلفته من ماسي على الشعب الجزائري عرفت منحى آخر خاصة التيار الاستقلالي الذي رأى فيه الشعب الجزائري الأمل المنشود للاستقلال الجزائر هذا التيار الذي جاء تحت تسمية جديدة وهي حركة انتصار الحريات الديمقراطية بتيارها السرية والعلنية والمسلحة ، عرف عدة أزمات ومنها تلك الأزمة التي كادت أن تعصف بالحزب لولا القيادة الرشيدة للحزب التي وأدت هذه الأزمة في مهدها ومنها نستنتج ما يلي :

إن موضوع الأزمة البربرية لازال محل أبحاث ودراسات للكشف عن الحقيقة وراء هذه الأزمة والأطراف الفاعلة فيها سواء هنا بالجزائر أو فرنسا منبع هذه الأزمة وما هي الأطراف المستفيدة من هذه الأزمة .

ليست المشاركة في الانتخابات أو التعجيل بالعمل المسلح أو التسيير داخل الحزب هو من كان وراء هذه الأزمة بل القضية أعمق من ذلك.

أن حالة الحزب وما شهدته من اختلالات دلت على مدى تغلغل السلطات الفرنسية داخله ومساندته لدعاة الأزمة والانفصال، بل الأكثر من ذلك وفرت لهم الرعاية والدعم من كل النواحي لأن السلطات الفرنسية عملت قبل هذا على تفتيت مكونات الشعب بسياسة "فرق تسد" وهي ليست وليدة أربعينات القرن العشرين بل كانت بعد الاحتلال .

طرح دعاة النزعة البربرية شعار " الجزائر جزائرية " وهو طرح يمكن من إدخال عنصر المستوطنين وغيرهم في دائرة تمكن من إدراج هؤلاء وغيرهم وسط المجتمع الجزائري وكل ذلك من أجل تهميش الشعب الجزائري ككل الذي يشكل العرب والمسلمون الغالبية العظمى له ، وهو إقصاء ممنهج .

الكثير من الحقائق لازالت في خانة المسكوت عنهم مثل المقالات والرسائل المتبادلة بين أطراف هذه الأزمة والتي كانت تشمل الكثير من الحقائق بالتفصيل وهي دليل واضح على التطور الذي عرفته هذه الأزمة لأنها لم تكون مرتبطة بشخص أو عدة أشخاص لأن هذه الحركة أعمق من أن تلصق التهمة بشخص أو اثنين ، وأخيرا نجاح قيادة الحزب في وئد هذه الأزمة وإقصاء كل من كانت له يد فيها.

7.الهوامش

¹ عبد القادر فكاير ، الفكر التاريخي من خلال كتابات بن يوسف بن خدة ، الملتقى الوطني الأول مارس 2015 ، جامعة يحي فارس المدية ، منشورات الدراسات التاريخية المتوسطية عبر العصور ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، ص 306

² المرجع نفسه ، ص 307 .

³ - بن يوسف بن خدة ، جذور أول نوفمبر 1954 ، ترجمة مسعود الحاج مسعود ، منشورات دار هومة ، الجزائر ، 2010 ، ص 235 .

⁴ لزهري بديدة ، النزعة البربرية في حزب الشعب الجزائري ، 1945 ، الملتقى الوطني الأول مارس 2015 ، جامعة يحي فارس المدية ، منشورات الدراسات التاريخية المتوسطية عبر العصور ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، ص 27.

⁵ - بن يوسف بن خدة ، المصدر السابق ، ص ص 250-252 .

⁶ لزهري بديدة ، المرجع السابق ، ص 27 .

- ⁷ أحمد بن نعمان ، فرنسا والأطروحة البربرية ، الخلفيات والأهداف ، الوسائل والبدايات ، دار الأمة للنشر والإشهار ، 1997 ، الجزائر ، ص 23 .
- ⁸ عمار بوحوش ، التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962 ، دار الغرب الإسلامي بيروت ، 2005 ، ص 318 .
- ⁹ رابح لونيسي ، التيارات الفكرية في الجزائر المعاصرة بين الاتفاق والاختلاف ، (1920-1954) ، ط 1 ، دار كوكب للعلوم ، الجزائر ، 2009 ، ص 141 .
- ¹⁰ بن يوسف بن خدة ، المصدر السابق ، ص 160 .
- ¹¹ لزهو بديدة ، المرجع السابق ، ص 31 .
- ¹² نفسه ، ص 31 .
- ¹³ بن يوسف بن خدة ، المصدر السابق ، ص 255 .
- ¹⁴ لزهو بديدة ، المرجع السابق ، ص 32 .
- ¹⁵ نفسه ، ص 32 .
- ¹⁶ أحمد بن نعمان ، المرجع السابق ، ص 30 .
- ¹⁷ العربي الزيري ، تاريخ الجزائر المعاصر ، منشورات إتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، 1999 ، ج 1 ، ص 167 .
- ¹⁸ بن يوسف بن خدة ، المصدر السابق ، ص 164 .
- ¹⁹ العربي الزيري ، المرجع السابق ، ص 170 .
- ²⁰ لزهو بديدة ، المرجع السابق ، ص 32 .
- ²¹ بن يوسف بن خدة ، المصدر السابق ، ص 259 .
- ²² نفسه ، ص 239 .
- ²³ عبد الله فيلاي: من مواليد ، 1913 بمنطقة القل وفي 1931 شارك في نجم شمال إفريقيا ثم إلى حزب الشعب ومن 1937 إلى 1943 تم سجنه حيث حكم عليه بالعمال الشاقة وكان عضو قياديا خلال الحركة الوطنية ، للمزيد ينظر محمد حربي ، جبهة التحرير الوطني الأسطورة والواقع ، ص 331 .
- ²⁴ أحمد بن نعمان ، المرجع السابق ، ص 165 .
- ²⁵ عمر بوداود ، من حزب الشعب الجزائري إلى جبهة التحرير الوطني ، مذكرات مناضل ، ترجمة باكلي أحمد بن محمد ، ط 1 دار القصة ، الجزائر ، 2007 ، ص 59 .
- ²⁶ حسين ايت حمد روح الاستقلال ، مذكرات مكافح ، 1942-1952 ترجمة السعيد جعفر ، منشورات دار البرزخ ، الجزائر ، 2002 ، ص ص 196 197 .
- ²⁷ بن يوسف بن خدة ، المصدر السابق ، ص 256 .

- 28 لزهـر بديـدة ، المرجـع السـابق ، ص 33 .
29 بن يوسف بن خدة ، المصدر السابق ، ص 251 .
30 نفسه ، ص 64 .
31 LETOILE ALGERIENNE , 20 FIFRIE 1949

- 32 لزهـر بديـدة ، المرجـع السـابق ، ص35.
33 بن يوسف بن خدة ، المصدر السابق ، ص 255.
34 نفسه ، ص 257.
35 نفسه ، ص ص 259-260.
36 نفسه ، ص 257 .
37 نفسه ، ص 258 .
38 نفسه ، ص 261 .
39 لزهـر بديـدة ، المرجـع السـابق ، ص 38 .

8. قائمة المصادر والمراجع

- بن يوسف بن خدة ، جذور أول نوفمبر 1954 ، ترجمة مسعود الحاج مسعود ، منشورات دار هومة ، الجزائر ، 2010 .
- أحمد بن نعمان ، فرنسا والأطروحة البربرية ، الخلفيات والأهداف ، الوسائل والبدائل ، دار الأمة للنشر والإشهار ، 1997 ، الجزائر .
- عمار بوحوش ، التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962 ، دار الغرب الإسلامي ببيروت ، 2005 .
- رايـح لونيسي ، التيارات الفكرية في الجزائر المعاصرة بين الاتفاق والاختلاف ، (1920-1954) ، ط 1 ، دار كوكب للعلوم ، الجزائر ، 2009 .
- العربي الزيري ، تاريخ الجزائر المعاصر ، منشورات إتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، 1999 ، ج 1 .
- عمر بوداود ، من حزب الشعب الجزائري إلى جبهة التحرير الوطني ، مذكرات مناضل ، ترجمة باكلي أحمد بن محمد ، ط 1 دار القصبة ، الجزائر ، 2007 .
- حسين ايت حمد روح الاستقلال ، مذكرا مكافح ، 1942-1952 ترجمة السعيد جعفر ، منشورات دار البرزخ ، الجزائر ، 2002 .

- عبد القادر فكاير ، الفكر التاريخي من خلال كتابات بن يوسف بن خدة ، الملتقى الوطني الأول مارس 2015 ، جامعة يحي فارس المدية ، منشورات الدراسات التاريخية المتوسطية عبر العصور ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية.
- لزهر بديدة ، النزعة البربرية في حزب الشعب الجزائري ، 1945 ، الملتقى الوطني الأول مارس 2015 ، جامعة يحي فارس المدية ، منشورات الدراسات التاريخية المتوسطية عبر العصور ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية.